اسم الدرس : تفسير سورة يس | ج١ | الآيات [١ : ١٢]

تصنيف الدرس : مجلس تفسير

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد -صلى الله عليه وسلم-، بإذن الله -عز وجل- نستفتح تفسير سورة يس، كنا انتهينا -بفضل الله عز وجل- من سورة سبأ وسورة فاطر.

نستفتح -بحول الله عز وجل وقوته ومدد منه سبحانه وتعالى- الكلام عن سورة يس.

هذا الشوط -كما قلنا- مستمر، فمن بعد سورة الأحزاب المدنية -تأتي سورة سبأ- يبدأ شوط مكي طويل، بداية من سورة سبأ تليها سورة فاطر ثم سورة يس ثم الصافات ثم ص ثم الزمر. ثم يأتي شوط مكي آخر متصل، آل ﴿حم﴾ وهم سبع سور متتاليات -تبدأ آياتها بـ ﴿حم﴾-، بداية من سورة غافر ثم فصلت ثم الشورى ثم الزخرف ثم الدخان ثم الجاثية ثم الأحقاف. وينتهي هذا الشوط المكي الطويل -الذي بدأ من سورة سبأ- بسورة الأحقاف ليبدأ شوط مدني، فيبدأ بسورة محمد -صلى الله عليه وسلم-، وتعرف بسورة القتال، ثم سورة الفتح ثم الحجرات، ليكون الشوط المدني ممتد في 3 سور مدنيات متصلات، ثم يبدأ شوط مكي آخر من سورة ق، ويستمر حتى سورة الواقعة -تليها سورة الحديد-.

هذه الأشواط المتتالية والمتباينة والمتغايرة بين مكي ومدني -مع طول الأشواط المكية وقصر الأشواط المدنية- لها دلالات، إن شاء الله -عز وجل- من الممكن أن يفتح الله علينا بهذه الدلالات، إن مَنَّ الله علينا وأطال في عمرنا -حتى نصل إلى سورة الأحقاف- ورزقنا الفقه والتوفيق والسداد، تأتي سورة يس -هذه السورة العظيمة- في هذا الشوط بعد سورة فاطر.

ومن أهم عوامل فهم كتاب الله -عز وجل- قضايا كثيرة منها:

- الرجوع إلى كلام السلف وآثارهم، واعتبار اللغة.
- وأيضًا من أهم هذه القضايا معرفة تتبع السياق -السباق واللحاق-، فكما ذكرنا من قبل أن الإمام الطبري يعتمد كثيرًا على السياق في تحديد معاني الكلمات المجملة، فكلمات مثل: [عملوا الصالحات] و[الدنيا] و[التقوى] هي كلمات مجملة -عامة-، أحيانًا يكون لها معاني مخصوصة يخصصه السياق.
- أيضًا من أهم عوامل فهم كتاب الله -عز وجل-: معرفة واقع نزول السورة، فكما قلنا -مرارًا وتكرارا- إن أكثر الناس استفادة من دعاء (شفاك الله وعافاك) هو المريض، أي أن أكثر الناس استفادة من كلمات معينة هو من يحتاج إلى تلك الكلمات. فالسورة تناسب الواقع الذي نزلت فيه، أي أنهم كانوا يحتاجون إلى سماع هذه الكلمات في هذا الوقت.

فمثلًا حين سأل سيدنا عمر بن الخطاب –في زمن الحديبية– وتعجب: "لمَ نرض الدنية في ديننا؟" نزلت –بعد ذلك– سورة الفتح، فناداه النبي –صلى الله عليه وسلم–، فكان سيدنا عمر في حاجة إلى أن يسمع سورة الفتح في هذه اللحظات تحديدًا. وقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: (نزلت عليَّ سورة أحب إلي من حمر النعم).

فعلًا فهم آيات من كتاب الله –عز وجل– ومعرفتها في وقت الفتن أحب إليك من الدنيا وما فيها، يريد الإنسان في أوقات المحن والابتلاءات أن يدفع الدنيا وما فيها مقابل أن يفهم ما يحدث في تلك اللحظات فهمًا موثقًا، وخاصة إن كانت تلك الأحداث هي آيات من عند الله–عز وجل–، فناداه النبي –صلى الله عليه وسلم– وقرأ عليه سورة الفتح، فاطمأن عمر –رضي الله عنه– عندما سمع هذه الآيات.

إذًا الاستفادة من الآيات تكون وفقًا للحاجة إليها، ففهم الواقع الذي نزلت به السورة من أهم عوامل فهمها. نعرف الواقع الذي نزلت فيه السورة إما من:

- أسباب نزول وردت في الآيات –أو في السورة–.
- وإما أن تدل السورة على ذلك الواقع. عرفنا من الآيات في سورة سبأ واقعَ نزول تلك السورة، حيث دلت الآيات على إن الكافرين معهم عدة وعتاد، ويفتخرون بذلك، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَموَالاً وَأَولَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ ٣٥]، أي أن الآيات التي تأتي في السورة تدل على الواقع الذي نزلت فيه.

واقع نزول سورة يس مكي، لكنه حقيقةً واقع مليء بالظلم والإعراض والسواد والقتامة، حينها كان الكافرون في قمة الإعراض وعدم الرغبة في سماع أي نوع من أنواع الخير، بل من يتكلم بالحق في هذا الواقع يقتل، كما جاء مؤمن آل ياسين ليقول كلمة الحق فقتلوه. قمة الإعراض تجده في هذه السورة. ما الذي ينبغي علينا فعله في هذا الواقع المليء بالإعراض والظلم والقهر والرؤساء يتحكمون في الأمر؟ ما الذي نتكلم فيه؟ ما الذي يحتاجه المؤمن؟ الإجابة عن هذه التساؤلات كلها نجده في هذه السورة –سورة يس–.

في هذا الواقع المليء بالظلمات والظلم تُفقد الحكمة ويتصرف الإنسان بطيش، فبدأت السورة بالقسم بالقرآن الحكيم، أنت تحتاج إلى تصرفات مليئة بالحكمة في هذه الأوقات تحديدًا وفي كل الأوقات،

لكن في هذه الأوقات خاصةً يحتاج الإنسان إلى الحكمة. إذًا ما يجب على المؤمنين أن يتعلموه ويفقهوه ويتعاملوا به ويتكلموا به ويتحركوا به يكون في هذه السورة المليئة بقمة الإعراض عن الحق –كما قلنا–.

قال الله–عز وجل–: ﴿لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [يس ٧]، أي أن أكثر الناس لن يؤمنوا، لك أن تتخيل أن أكثر الناس في هذه المرحلة تحجر قلبه بسبب الإعراض –عن الحق– والجحود والران الذي غشي قلوبهم –من المعاصي–، وحق عليهم القول من الله –عز وجل– إنهم لن يؤمنوا، فهم لا يريدون أن يسمعوا أي كلام عن الحق، –وكما قلت– فمن يتكلم بالحق في تلك اللحظات يقتلوه، كما قُتل مؤمن آل ياسين. قال تعالى: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِ﴾ [يس ٣٠]، في هذه السورة –يس– وهذا الواقع الذي نزلت فيه تأتي هذه المعاني التي يحتاج المؤمن إلى سماعها في هذه اللحظات.

تبدأ السورة بحروف من الحروف المقطعة –هما الياء والسين– ﴿يس﴾ [يس ١]، ويعتقد أكثر الناس أن ﴿يس﴾ اسم من أسماء النبي –صلى الله عليه وسلم–، لكن الراجح أنه ليس اسمًا للنبي –صلى الله عليه وسلم–، بل هما حرفان من الحروف المقطعة مثل: الم، الر، حم، فأيضًا بدأت هذه السورة بـ﴿يس﴾.

والغالب على السور التي تبدأ بالحروف المقطعة أن يأتي بعدها الحديث عن القرآن، –كما قال كثير من أهل العلم–، وهذا الأمر كالتحدي للكافرين، فهذه الحروف التي كونت كلمات القرآن الكريم، فتحداهم الله عز وجل – كوجه من وجوه الإعجاز– أن يأتوا بقرآن مثله أو بعشر سور مثله أو بسورة من مثله.

فقد تحدى القرآنُ المشركين أن يأتوا بمثله، وأمهلهم ثمَّ سهَّل في التحدي، فلم يستطيعوا –ولم يكونوا ليستطيعوا–، قال تعالى: ﴿وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾ – في قوله: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ * فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة ٢٣–٢٤]–، وبذلك قطع القرآن الآمال في أن يُؤتى بمثله؛ لأن هذا التحدي –بأن يأتوا بمثل هذا القرآن– جاء في قمة وصول العرب إلى الإمساك بنواصي اللغة وبحروفها، وبالرغم من ذلك لم يستطيعوا.

فعلى سبيل المثال عندما يتحدى إنسانٌ طبيبًا ماهرًا ليعالج مرض ما ولا يستطيع الطبيب معالجته، إذًا فالمرضى –الذين هم أقل خبرة من الطبيب– أيضًا لن يستطيعوا معالجة ذلك المرض.

فإذا عجز هؤلاء العرب الأقحاح على أن يأتوا بسورة مثل القرآن الكريم وأن يعارضوه على ما توفر فيهم من الأنفة والكبرياء، – فمن المفترض أنهم عندما يُتَحدون تُستَنفر هذه الأنفة وهذا الكبر القابع

بداخلهم ليأتوا بمُعارض لهذا القرآن، لكنهم لم يفعلوا ذلك بالرغم من كبرهم ولن يفعلوا. إذًا هذا اعتراف منهم بالعجز أمام هذا القرآن، فإذا عجز هؤلاء –الأقحاح– فمن دونهم أولى –بالعجز– إلى يوم القيامة.

وكما قلنا إن التحدي في القرآن جاء بشيئين، وهما التحدي بالخَلق و التحدي بالقرآن.

- التحدي بالخلق وهو إثبات أن الله خالق، إذًا هناك دين –لعبادة هذا الخالق–، فأخرج الملحدين والمشركين الكافرين بالله.
- ثم التحدي بالقرآن وهو أن هذا الدين هو الحق.

إذًا من خلال هاذان التحديان يصل الإنسان من أقصى البعد عن الحق إلى الطريق المستقيم.

الكلام حول الحروف المقطعة كثير، وتكلم عنها العلماء كثيرًا. هل هي مما استأثر الله –عز وجل– بعلمه؟ أو هي مما اختُص بفهمه الراسخون في العلم؟ أو تُفهم من سياق السور؟

- بعض العلماء يقول هي من أسماء الله –عز وجل– كما وردت آثار عن بعض السلف وإن كان ضَعّفها بعض أهل العلم.
- وبعضهم يقول تُفهم معاني تلك الحروف مما في سياق السورة، أي أنه من ممكن فهم معاني هذه الحروف من الكلمات والمعاني المتكررة في السورة.
- ومنهم من يقول هي علامات على أسماء الله مما ورد في السورة وغير ذلك …

ومن المهم معرفة أن الحرف القرآني يختلف عن الحرف العادي، فالحرف العادي ليس له معنى، أما الحرف في القرآن تؤجر عليه ولو لم تفقه معناه. قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: (لا أقولُ الم حرفٌ، ولكنْ ألفٌ حرفٌ ولامٌ حرفٌ وميمٌ حرفٌ، والحرفُ بعشر حسنات)[1]، ويضاعف الله لمن يشاء. إذًا الحرف القرآني له دلالة غيبية في الأجر، وهذا من عِظَم هذا القرآن.

يقول الله–عز وجل–: ﴿يس﴾ [يس ١]، ثم يُقسم الله –عز وجل– بالقرآن: ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [يس ٢]، يقول بعض العلماء: "ورد في القرآن أوصاف وأسماء للقرآن". هناك فارق بين الاسم العَلَم والصفة، الصفة مثل: جميل أو طويل بالنسبة للشخص، أما العَلَم فهو اسم الشخص مثل: أحمد أو محمد. كلمة قرآن ليست وصفًا لكتاب الله بل عَلَم، أي أن كلمة قرآن عَلَمًا على هذا الكتاب.

---

[1] [عن عبدالله بن مسعود:] مَن قرَأ حَرفًا مِن كِتابِ اللهِ فله حَسَنةٌ، والحَسَنةُ بعَشَرةِ أمثالِها، لا أقولُ {الم} حَرفٌ، ألِفٌ حَرفٌ، ولامٌ حَرفٌ، وميمٌ حَرفٌ.
عبد الحق الإشبيلي (ت ٥٨١)، الأحكام الصغرى ٩٠١ • [أشار في المقدمة أنه صحيح الإسناد] • أخرجه الترمذي (٢٩١٠) واللفظ له، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢٦٣/٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٩٨٣) باختلاف يسير.

ككلمة شمس ليست وصفًا لذلك النجم المضيء، بل هي عَلَم على هذا المخلوق الذي يشرق نهارًا ويضيء الأرض ويغرب ليلًا.

فقيل أن القرآن له أربع أسماء: هم القرآن والكتاب والذكر والفرقان، وزاد بعضهم الوحي، فتلك أعلامٌ –أسماء– للقرآن، فإذا قيل الذكر أو الفرقان فالمقصود هو القرآن، وبعضهم زاد تلك الأعلام وبعضهم قللها عن ذلك، وقال البقية أوصاف.

فيُقسم الله –عز وجل– بالقرآن في قوله: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ﴾، بالرغم من أنه في تلك اللحظات لم يكتمل، وهذا إشارة إلى أنه سينزل القرآن و سيكتمل الوحي، شاء من شاء، وأبى من أبى.

يقول تعالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾، إذًا في هذه اللحظات وفي هذه الفتن أنت تحتاج إلى القرآن، كلما اشتدت الظلمات كلما احتاج الإنسان إلى النور، فلا يعلم الإنسان قيمة النور إلا عن اشتداد الظلمات. كما قلنا تنزل آيات قليلة –الآيات كلها عظيمة– على المؤمنين في أوقات الفتن تُخرجهم من الظلمات إلى النور.

احتاج عمر بن الخطاب –وهو من هو! – أن يستمع إلى آيات من سورة الفتح، احتاج المؤمنون –وهم عائدون من غزوة أحد– إلى أن يستمعوا إلى آيات من سورة آل عمران، فنزلت هذه الآيات لتوضح لهم النور، وتبين لهم أمور يجهلونها، وتخرجهم من الظلمات إلى النور.

فيقول الله –عز وجل–: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾، اختار الله –عز وجل– للقرآن في هذه السورة وصف الحكمة:

– قيل لأنها –السورة– مليئة بالحكمة.
– وقيل لأننا نحتاج إلى الحكمة في هذه الظروف.
– وقيل أيضًا هناك أفعال –يفعلها أهل الإيمان– قد يظنها البعض ليست من الحكمة ويظنونها من السفاهة، كما قال المنافقون واليهود على أفعال أهل الإيمان، كما في قوله تعالى –في بداية سورة البقرة–: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة ١٣].

الذين آمنوا في بداية المرحلة المدنية صنفين من الناس وهم المهاجرون –الذين تركوا أرضهم– والأنصار –الذين تبرعوا بأموالهم–، فكان إيمان هؤلاء –المهاجرين والأنصار– وتركهم أرضهم والتبرع بأموالهم عند اليهود والمنافقين سفاهة. فلم يكن هؤلاء اليهود والمنافقون يرون أمرًا يستحق ترك الأرض أو المال. فأخبر الله –عز وجل– أن ما فعله المهاجرون والأنصار هو محض الإيمان، وأن الإيمان الذي ليس فيه بذل ولا نصرة ليس إيمانًا حقيقيًا، بل أن ما اختاره المنافقون لأنفسهم هو محض السفاهة، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ

﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة ١٣]. وقال الله –عز وجل– في السورة نفسها: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا عَلَيْهَا﴾ [البقرة ١٤٢]، وقال تعالى –في السورة نفسها–: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة ١٣٠]، أي أن من يبتعد عن أفعال إبراهيم –عليه السلام– هو السفيه.

فهناك أفعال يظنها البعض من السفاهة وهي محض الإيمان، فما فعله مؤمن آل ياسين من قول الحق في هذه الظلمات –بالرغم من أنه قُتل– ليس من السفاهة، بل هو من الحكمة. إذًا هناك أفعال يفعلها أهل الإيمان في وقت الاستضعاف يظنها البعض من السفاهة، وهي ليست من السفاهة بل هي من الحكمة. ونحتاج إلى اقتباس الحكمة من الأفعال التي تحمل الحكمة من القرآن والسنة–وفقا للوضع الحالي–، قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًاۗ﴾ [البقرة ٢٦٩]، أي أوتي خيرًا عظيمًا.

<u>وتلقي الحكمة يكون من الوحي ومما أشار إليه الوحي</u>، نحن لا نضيق الأمر ونقصره على الوحي فقط، لكن ما أشار إليه الوحي على أنه علم نافع يُتلقى منه الحكمة، لكن يتلقى العلم ابتداءً من الوحي. **فالوحي هو الأصل**، وباقي العلوم امتداد لهذا الأصل، فمن يتلقى بقية العلوم دون هذا الأصل، فإنه يتلقى امتدادًا ليس مبنيًا على أصل، فيهوي به –ما تلقى– في مكان سحيق. فيقول الله –عز وجل–: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يس ٢]، فالحكمة تكون في هذا الوحي، حتى لو ظهر لك غير ذلك من الأمور. أقسم الله –عز وجل– بما أنزل من قرآن حكيم، وكما قلنا استحضار وقت السورة يساعدك على فهم الكلمات وأن تنزل على قلبك منازلها ومواقعها.

ثم يقول الله عز وجل –بعد القسم– للنبي –صلى الله عليه وسلم– في أسلوب تأكيد مليء بالمؤكدات وهن الجملة الإسمية وإنّ واللام المزحلقة: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ * عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يس ٣–٤]. أحيانًا في خضم المعركة تحتاج إلى من يؤكد لك –ما تعرفه أنت عن نفسك– أنك على الحق، فتحتاج من يقول لك –كما في قوله تعالى–: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ [النمل ٧٩]، أو –كما في قوله تعالى في سورة الزخرف– ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف ٤٣] فتحتاج إلى من يقول لك هذا الكلام.

لذلك يقول بعض أهل التفسير: "نبئ –صلى الله عليه وسلم– بـ [اقرأ]، وهُدئ بـ [نون]، وهُيئ بـ [المزمل]، ثم أُرسل بـ [المدثر]" – ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر ٢] –. نُبئ بالرسالة والنبوة بـ اقرأ – في سورة العلق–، وهُدّئ بـ نون –سورة القلم– أي يحتاج –صلى الله عليه وسلم– إلى أن يُقال له: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم ٢]، وهُيئ لقيام الليل بسورة المزمل، ثم أُرسل لينذر الناس بسورة المدثر – صلى الله عليه وسلم–. **إذًا يحتاج المؤمن إلى التثبيت بأنه على الحق.**

اكتشفوا أن الجيش الذي ليس لديه عقيدة يقاتل من أجلها -في أثناء الحرب- دائمًا يفر عند احتدام المعارك، فيحاول القادة توعيةَ الجنودِ توعيةً معنوية، ويعقدون جلسات تساعد على رفع الروح المعنوية للجنود، يخبرون الجنود فيها بأنهم على الحق ليثبتوا.

عندما أراد فرعون أن يستنفر الجيوش ضد موسى -عليه السلام- قال لهم: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ﴾ [غافر ٢٦]، فأشار إلى أمورًا معنوية لاستنفارهم، ولم يشر إلى المال فقط، فقال لهم إنكم على الحق وإني أخاف على دينكم، وأخاف من هؤلاء الذين يريدون أن يزعزعوا الأمن والاستقرار، ويريدون أن يخرجوكم من أرضكم.

فإذا كان أهل الباطل يفعلون ذلك فأهل الإيمان أحق بذلك، فالداعية يحتاج إلى تثبيت؛ لذلك الداعية الذي لا يتلقى هذا التثبيت من القرآن دائمًا يتزعزع، ويسهل تنازله عن الحق الذي معه، لذلك قال الله -عز وجل- في سورة هود: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ﴾ [هود ١٢]، فكلمات أهل الباطل قد تؤثر فيك، فتحتاج إلى أن تعود إلى القرآن لتستمع إلى هذه الكلمات التي تثبتك على الحق. لذلك -كما قال بعض أهل العلم- "تحصيل المعاني أهم من ملئ الأواني".

ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ * لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ﴾ [الحجر ٨٧-٨٨]؛ حتى لا يمد الإنسان عينه إلى الدنيا، فالإنسان لا يستطيع أن يُكلف ألا يمد عينيه إلى الدنيا دون بديل، في قوله تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ﴾ [الحجر ٨٨] إذًا كيف تتحكم في نظراتك؟ وكيف تتصرف في مشاعرك؟، الإجابة هي الإقبال على القرآن، فحينما تتجه بهذه المشاعر إلى القرآن فتصبر وتتصبر وتجد الزاد الذي يصبرك.

فيقول الله -عز وجل- للنبي -صلى الله عليه وسلم- في هذا الوقت: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [يس ٣]، وذلك يخبرنا قدر الضغط الذي عانى منه المؤمنون في تلك اللحظات واحتاج بسببه النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى أن يسمع هذه الكلمات - ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ - التي تؤكد نبوته -صلى الله عليه وسلم-، وهذا التأكيد على النبوة هو الذي أقر به الرسل -كما سيتضح في بقية السورة-، حيث يؤكدون أنهم لمرسلون. وفي تلك الآية يؤكد الله -عز وجل- للنبي -صلى الله عليه وسلم- بعد القسم بالقرآن الحكيم وأن ما أنزله الله من قرآن فيه الحكمة، فقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ أي لمن المرسلين بهذا القرآن الحكيم.

فكلمة مرسل من الفعل إرسال، والفاعل –المرسِل– هو الله عز وجل، والمرسَل هو النبي –صلى الله عليه وسلم–، والمرسَل به –الرسالة– هو القرآن الكريم الحكيم، تلك هي مكونات الرسالة: مُرسِل، مُرسَل، مرسَل به. في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ * عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يس ٣-٤] أي أنت متمكن، تدل (على) هنا على التمكن، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ ٢٤]، فتأتي (على) مع الهدى دلالةً على التمكن –كما وضحنا من قبل في تفسير سورة سبأ–. فإنك ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يس ٤].

((طالما أنت ملتزم بهذا القرآن الحكيم.... إذًا أنت على صراط مستقيم))

فلا يضرنك ما يقولون ولا ما يفعلون ولا ما يحاربونك به؛ فإنك على صراط مستقيم. قالها الله –عز وجل– للنبي –صلى الله عليه وسلم–، وكررها أيضًا في سورة الزخرف في هذا الشوط المكي الطويل المليء بالمحاربة لأهل الدين وآيات الله –عز وجل–.

إذًا تمر على الإنسان فترات يحتاج فيها إلى أن يكون ثابت وموقن؛ لذلك الداعية الموقن يتكلم بكلام يؤثر على غيره غير الداعية المتزعزع، فالداعية الحق يتكلم مع الناس عما يرى بقلبه لا عما قرأ بعينه، فهو يكلمهم عن يقين بداخله. حينما قال مؤمن آل فرعون لقومه: ﴿إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ﴾ [غافر ٣٩] كان يكلمهم عن يقين رآه –أن الدنيا حقًا متاع–، ولم يكن يتكلم عن مجرد كلمات سمعها أو قرأها يسهل أن تزول من قلبه، بل كان يكلمهم عن كلمات نُقشت في قلبه.

فالداعية يجب أن يتكلم بيقين، والكلام الذي ينبع من قلب يوقن يصل إلى القلوب مباشرةً، أما الكلام البارد الصادر عن قلب لا يحمل هذه الهموم سرعان ما يزول ويتطاير كرذاذ الكحول، بعض الكلمات هكذا ليس لها أصول، لكن الحق شجرة ثابتة أصلها في الأرض وفرعها في السماء تؤتي أُكلها كل حين بإذن ربها، فالداعية يحتاج إلى هذا التثبيت؛ فحين يتكلم –بالوحي– ينبغي أن يعلم أنه على الحق، ويشعر بذلك –أنه على الحق– يقينًا.

يقول تعالى: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ * عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يس ٣-٤] أي طريق واضح، وهذا الطريق الواضح –وهو الصراط– مستقيم لا اعوجاج فيه، هنا أيضًا إشارة أنك لابد أن تثبت على هذا الصراط المستقيم، ومهما فعلوا معك وحاربوك لا تحِد عن هذا الصراط أبدًا.

نزلت السورة –كما قلنا– في واقع مليء بالإعراض كما سيأتي في قول الله –عز وجل–: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [يس ٦]، أدى طول الفترة –بين إرسال الرسل– والبعد عن الإنذار إلى نوع من التحجر والتصلب في الأفكار بعيدًا عن الوحي، فأصبح الوحي غريبا عليهم. فيقول الله –عز

وجل-: ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [يس ٤] لا تبتعد عنه هذا الصراط أبدًا ولا تحد عنه مهما حاولوا إبعادك عنك؛ فإنك على صراط مستقيم.

قوله تعالى: ﴿تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [يس ٥] أي أن ما معك من وحي وما أُرسلت به هو من عند الله ليس مفترى، وما من عند الله -عز وجل- لا يغالب. ومن أسماء الله -عز وجل- التي ذكرت عند تنزيل الوحي في قوله: ﴿تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فلا بد ما اجتماع الوصفين -القوة والرحمة-. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا﴾ [الفرقان ٣١] أي هَادِيًا لمن أراد الهداية، وَنصِيرًا على من أصر على العناد.

وصفة الله هنا -في سورة يس- هي العزيز -الذي لا يغالب-؛ فالقرآن لا بد أن يكون فيه قوة، نزع هذه الآيات -التي فيها العزة- من القرآن وطرح آيات بشكل مجتزأ -فتصبح الآيات فقط عن بعض الأخلاق لا عن العقائد- يعد -هذا النزع- تشويهًا للدين. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي كل ما نزل إليك من ربك، ﴿وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ﴾ أي لم تبلغ أيةً واحدة، ﴿فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة ٦٧] أي وإن لم تبلغ القرآن كاملًا فكأنك لم تبلغ شيئًا.

المعنى أيضًا -حتى نوضحه- أنه إن بلغت القرآن ناقصًا فكأنك لم تبلغ شيئًا، في قوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ﴾ أي إن لم تبلغ القرآن كاملًا فكأنك لم تبلِّغه تمامًا.

في قوله تعالى: ﴿تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [يس ٥] العزيزُ لمن أصر على العناد فالله لا يغالب، الرحيم لمن أراد الوصول إلى الحق.

أرسلك الله -عز وجل- وأكد لك أنك مُرسَل -بهذا القرآن- لماذا؟ ﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [يس ٦]، اللام في الآية لام التعليل. وقوله تعالى: {تُنذِرَ} ولم يقل [لتبشر] لأن الإنذار لغلبة المعاصي، إذا كانت الدعوة -إلى الله- في مكان يغلب فيه انتشار المعاصي بكثرة يقدم الإنذار على البشارة. أول ما قام النبي -صلى الله عليه وسلم- قام منذرًا، قال -صلى الله عليه وسلم-: إني ﴿نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ﴾ [سبأ ٤٦].

﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا﴾ [يس ٦] كأنهم اجتمعوا -على الكفر-، تأتي كلمة قوم عندما يجتمع مجموعة من الناس على شيء معين كالنسب أو القبيلة أو على فكرة ما، فكأن سبب قومَتِهم مضادة الرسالة -الكفر-.اجتمع هؤلاء القوم -المنذَرين- كلهم ضد النبي -صلى الله عليه وسلم-، كقوله تعالى: ﴿كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا﴾ [الجن ١٩].

قال تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [يس ٦] –أريدكم أن تركزوا أذهانكم معي– قال أهل العلم قولين في (ما):

- المتبادر للذهن أنها هنا للنفي فهي ما النافية، أي أنك بُعثت لتُنذر قومًا لم ينذر آباؤهم من قبل، أي لم يرسل إليهم نذير قبلك قط، وهذا رأي كثير من المفسرين، وأنا أميل إليه حقيقةً.
- لكن ذكر بعض المفسرين قول آخر –معتبر– أن (ما) في الآية اسم موصول بمعنى الذي –ما الموصولة–، أي لتُنذر القومَ الذين أُنذِر آباؤهم.

أي أن الرسول –صلى الله عليه وسلم– بُعث بالرسالة نفسها –التوحيد– التي بُعِثَ بها المنذِرون –من قبل– لآبائهم، فالرسالة هي نفسها التي بُعث بها إبراهيم الخليل –لأجدادهم– بُعث بها النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– لهم.

وهذا أحد معاني قول الله –عز وجل– في سورة فصلت: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ [فصلت ٤٣]، أي ما يقال لك من قِبَل الله قيل للرسل من قبلك –وقيل ما يقَالُ لكَ من قِبَل المشركين–، فعلى هذا القول –أن ما موصولة– يكون المعنى أن ما أُوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم هو من أصول ما أُوحي للرسل من قبله.

- وقيل أن (ما) مصدرية–، أي أنك بُعِثت لتُنذر قومًا الإنذار الذي أنذر به آباؤهم.

وقوله تعالى: ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [يس ٦] أي فهم غافلون عن هذا الإنذار، فيكون معنى النفي: فهم أعرضوا عن الإنذار السابق بسبب ما يعيشون فيه من شهوات في الدنيا وأماني؛ لذلك يحتاجون إلى تجديد لهذا الإنذار. وقيل –معنًى آخر– أنهم مرت عليهم فترات طويلة لم يُرسَل إليهم فيها رسل، بالرغم من وجود بقايا من دين إبراهيم –عليه السلام– فيهم.

لا نريد الخوض في مسألة أهل الفترة، الكثير من أهل العلم تكلم في هذه المسألة من حيث حكم أهل الفترة وامتحانهم ومعذرتهم عند ربهم، وتوجد آثار لأحاديث صحيحة تخبر عن عذاب بعض من مات من أهل الفترة كعمرو بن لُحيّ الذي سيب السوائب قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: (أنه يجر أمعاءه في جهنم)[٢] ، فالأمر فيه خلاف طويل بين أهل العلم.

الشاهد أن المعنى في قوله تعالى أن هؤلاء المنذَرون الذي بعث فيهم النبي –صلى الله عليه وسلم– كانوا في قمة الظلمات حيث طال عليهم الأمد، ولا نقصد هنا معذرتهم أو لا، بل نتكلم عن

[٢] [عن أبي هريرة]: رَأَيْتُ عَمْرَو بنَ لُحَيِّ بنِ قَمْعَةَ بنِ خِنْدِفَ أبا بَنِي كَعْبٍ هَؤُلاءِ، يَجُرُّ قُصْبَهُ في النّارِ.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٨٥٦ • [صحيح] • أخرجه البخاري (٣٥٢١)، ومسلم (٢٨٥٦) واللفظ له.

الحالة التي كانوا فيها. كما في قوله تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ [الحديد ١٦]، وهذه إشكالية المجتمعات التي يغيب عنها التذكرة بالله لفترات طويلة، فلا يوجد من يذكرهم بالله، وتلك الغفلة هي مصيبة عظيمة، سواء كانت بسبب ضعف أهل العلم وقلة عزيمتهم وقلة بذلهم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو كانت بسبب أمر قدري كالعيش في مكان بعيد فالأمر سواء.

الشاهد أن قلة التذكرة في مجتمع تصيبه بالتصلب والتحجر، فالمعصية في بادئ الأمر تكون غير مألوفة وغريبة، فإذا استمرت لفترات دون أن ينكرها أحد تتحول المعاصي إلى نظام سار في المجتمع، فيصبح لتلك المعاصي أُسسًا في المجتمع، ويكون لها -وللكفر- قواعد راسخة وأصول وضوابط وتقاليد، وتتعدد الأصنام وتتنوع طرق التقرب إليها، تتحول تلك المعاصي إلى تقاليد مرسخة في المجتمع؛ فيصعب نزعها. فالمعصية يَسهُل إنكارها في بداية وقوعها، فإذا تركت صَعُب -على العاملين لدين الله- إزالتها، تصعب إزالة المنكر إذا استقر لسنوات؛ لأنه يترسخ ويتجذر ويشاع بين الناس ويوضع له قوانين تحميه. لذلك تصعب عملية الإصلاح على الجيل المصلح الذي يأتي بعد أناس أهملوا الإصلاح، فإذا هممت بمعالجة قضية ما -كالاختلاط المحرم بين الجنسين- يصعب عليك ذلك إذا ما طال الأمد الذي مر على تلك القضية، فأصبحت أمرًا طبيعيًا وقانونيًا منظمًا. فإذا ما حاولت فصل الرجال والنساء في مكان العمل أو التعليم ستجد معوقات كثيرة جدًا، وستجد أشخاص يستنكرون محاولتك تلك؛ لأنه -الاختلاط- ترسخ، فإزالة الأمر في أول ما حدث كان أسهل.

فهنا يقول الله -عز وجل-: ﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [يس ٦]، والصيغة الإسمية هنا -غافلون- للدلالة على أنهم أصبحوا راسخين في الغفلة، وأن الغفلة أصبحت هي الأصل عندهم، فمن النادر أن يذكرهم أحد بالله؛ إذًا تحتاج المجتمعات الغافلة إلى جهد عظيم يبذل لتذكيرهم بالله.

وكما قلنا هذا هو -الغفلة الشديدة- واقع نزول السورة؛ لذلك تخبرنا السورة ما الذي يجب علينا أن نفعله في هذا الواقع. سنتوقف -في أثناء قراءتنا للآيات- عند ماذا يجب علينا أن نفعله مع مجتمع ترسخت فيه الغفلة والجهل والبعد عن التذكرة؟

بدايةً الداعية هو الذي يحتاج إلى أن يثبت على الحق ويقال له -تثبيتًا لقلبه- ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ * عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [يس ٣-٤]، إذًا يحتاج الداعية أن يتمسك بالوحي.

ثم تُطرح قضايا مثل: كيف يدعون؟ ومن يختارون للدعوة؟ وماذا يفعلون -الدعاة والمؤمنون- مع بعضهم؟ وكيف ينسقون الأمر بينهم - كما في قوله تعالى: ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ﴾ [يس ١٤] -؟ وما هي الكلمات المناسبة التي ينبغي أن يقولها أهل الدعوة في

هذا الوقت –بماذا يدعون–؟ وتظهر هنا قيمة بعض القيم كالترابط والجهر بكلمة الحق، وكيف يجب أن يكون الكلام عن الله؟ نَخلُص بهذه القضايا جميعها من سورة يس.

يقول الله –عز وجل–: ﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [يس ٦] أي ترسخوا في الغفلة.

وكما قلنا فإن حاولت الإصلاح والنصح في مكان لم ينكر فيه أحد قبلك لمدة طويلة ستجد صعوبة، على خلاف النصح والأمر بالمعروف في مكان يتوالى عليه الدعاة تترًا فيكون سهلًا؛ لأنهم سمعوا هذا الكلام من فترة قريبة فيَسهُل على آذانهم ولا يكون غريبًا على قلوبهم.

فيقول الله –عز وجلِ– لما ترسخوا في الغفلة: ﴿لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [يس ٧]، أي أنهم كانوا فُجارًا –معاذ الله–. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم–:(إنَّ اللَّهَ نَظَرَ إلى أهْلِ الأرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وعَجَمَهُمْ إلَّا بَقَايَا مِن أَهْلِ الكِتَابِ) ثم أرسل محمد –صلى الله عليه وسلم– ، قال النبي –صلى الله عليه وسلم (وأرسلني الله عز وجل وأمرني أن أحرق قريشًا، فَقُلتُ: رَبِّ إذًا يَثْلَغُوا رَأْسِي فَيَدَعُوهُ خُبْزَةً) ، أي يكسروا رأسي؛ لأنه كان بمفرده –صلى الله عليه وسلم–.(فقالَ: أَنْزَلْتُ إليك كِتَابًا لا يَغْسِلُهُ الماءُ، تَقْرَؤُهُ نائِمًا ويَقْظَانَ، لن يذهب من الصدور أبدًا...) قالَ –تعالى–: (اغْزُهُمْ نُغْزِكَ –أي نساعدك–، وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ، وأرسل جَيْشًا نرسل خَمْسَةً...)[3]

عندما بدأ الرسول –صلى الله عليه وسلم– الدعوة كان بمفرده، قال –صلى الله عليه وسلم– في أول الدعوة: (لقد أُوذِيتُ في اللهِ وما يُؤذَى أحَدٌ، ولقد أُخِفْتُ في اللهِ وما يُخافُ أحَدٌ)[4]. أي أنه أوذي –

---

[3] [عن عياض بن حمار]: أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ، قالَ ذاتَ يومٍ في خُطْبَتِهِ: ألا إنَّ رَبِّي أمَرَنِي أنْ أُعَلِّمَكُمْ ما جَهِلْتُمْ، ممّا عَلَّمَنِي يَومِي هذا، كُلُّ مالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلالٌ، وإنِّي خَلَقْتُ عِبادِي حُنَفاءَ كُلَّهُمْ، وإنَّهُمْ أتَتْهُمُ الشَّياطِينُ فاجْتالَتْهُمْ عن دِينِهِمْ، وحَرَّمَتْ عليهم ما أحْلَلْتُ لهمْ، وأَمَرَتْهُمْ أنْ يُشْرِكُوا بي ما لَمْ أُنْزِلْ به سُلْطانًا، وإنَّ اللَّهَ نَظَرَ إلى أهْلِ الأرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وعَجَمَهُمْ، إلّا بَقايا مِن أهْلِ الكِتابِ، وقالَ: إنَّما بَعَثْتُكَ لأَبْتَلِيَكَ وأَبْتَلِيَ بكَ، وأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتابًا لا يَغْسِلُهُ الماءُ، تَقْرَؤُهُ نائِمًا ويَقْظانَ، وإنَّ اللَّهَ أمَرَنِي أنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا، فَقُلتُ: رَبِّ إذًا يَثْلَغُوا رَأْسِي فَيَدَعُوهُ خُبْزَةً، قالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كما اسْتَخْرَجُوكَ، واغْزُهُمْ نُغْزِكَ، وأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ، وابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ، وقاتِلْ بمَن أطاعَكَ مَن عَصاكَ، قالَ: وأَهْلُ الجَنَّةِ ثَلاثَةٌ ذُو سُلْطانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، ورَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ القَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى ومُسْلِمٍ، وعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيالٍ، قالَ: وأَهْلُ النّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الذي لا زَبْرَ له، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لا يَبْتَغُونَ أهْلًا ولا مالًا، والْخائِنُ الذي لا يَخْفَى له طَمَعٌ، وإنْ دَقَّ إلّا خانَهُ، ورَجُلٌ لا يُصْبِحُ ولا يُمْسِي إلّا وهو يُخادِعُكَ عن أهْلِكَ ومالِكَ وذَكَرَ البُخْلَ أوِ الكَذِبَ والشِّنْظِيرُ الفَحّاشُ. ولَمْ يَذْكُرْ أبو غَسّانَ في حَدِيثِهِ: وأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ. وفي رواية: بهذا الإسْنادِ، ولَمْ يَذْكُرْ في حَدِيثِهِ: كُلُّ مالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا، حَلالٌ. وفي رواية: أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ خَطَبَ ذاتَ يومٍ، وساقَ الحَدِيثَ. وقالَ في آخِرِهِ: قالَ يَحْيَى: قالَ شُعْبَةُ: عن قَتادَةَ، قالَ: سَمِعْتُ مُطَرِّفًا في هذا الحَدِيثِ. وفي رواية: قامَ فِينا رَسولُ اللهِ ﷺ ذاتَ يومٍ خَطِيبًا، فَقالَ: إنَّ اللَّهَ أمَرَنِي وساقَ الحَدِيثَ بمِثْلِ حَدِيثِ هِشامٍ، عن قَتادَةَ. وزادَ فيه وإنَّ اللَّهَ أوْحَى إلَيَّ أنْ تَواضَعُوا حتّى لا يَفْخَرَ أحَدٌ على أحَدٍ، ولا يَبْغِي أحَدٌ على أحَدٍ وقالَ في حَدِيثِهِ وهُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لا يَبْغُونَ أهْلًا ولا مالًا. فَقُلتُ: فَيَكونُ ذلكَ؟ يا أبا عبدِ اللهِ قالَ: نَعَمْ، واللَّهِ لقَدْ أدْرَكْتُهُمْ في الجاهِلِيَّةِ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَرْعَى على الحَيِّ، ما به إلّا ولِيدَتُهُمْ يَطَؤُها.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٨٦٥ • [صحيح] •

[4] [عن أنس بن مالك]: لقد أُوذيتُ في اللهِ وما يُؤذَى أحَدٌ ولقد أُخِفْتُ في اللهِ وما يُخافُ أحَدٌ ولقد أتَتْ علَيَّ ثلاثٌ مِن بيْنِ يومٍ وليلةٍ وما لي طعامٌ إلّا ما واراه إبْطُ بلالٍ.

صلى الله عليه وسلم- في وقت لم يكن يؤذى فيه أحد إلا هو -صلى الله عليه وسلم-؛ لأنه كان بمفرده -صلى الله عليه وسلم-، وكان هو -صلى الله عليه وسلم- فقط الذي يُخاف في الله. **فواقع الغربة هو واقع سورة يس.**

يقول الله -عز وجل-: ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس ٧]، أي أن أكثرهم سيموت على الكفر فيمن علم الله -عز وجل- أنهم سيموتون كذلك، فأكثر من كان في مكة -حينها- كانوا رافضين للرسالة وعنيدين ومتكبرين، وماتوا على الشرك بالله.

ثم يبين الله -عز وجل- سبب موتهم على الشرك؛ فيقول تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ [يس ٨]، هذا الجعلُ -الذي في الآية- هو عقوبة لهم من الله -عز وجل- على عنادهم وكبرهم. كان لدى المشركون القدرة على الاختيار في أول الأمر، فعندما استمروا على الكفر والشرك عوقبوا كما في قوله تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ﴾ [التوبة ٧٧]، فالموت على الكفر هو عقاب من الله -عز وجل-.

فيقول الله -عز وجل- ﴿إِنَّا﴾ -بعظمته- ﴿جَعَلْنَا﴾ -بسُنتِنَا- ﴿فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ [يس ٨]، ولم يقل [حول أعناقهم]. الغُل هو الحديد الذي يُربَط حول الرقبة، يكون حول الرقبة أو عليها، لكن قوله (في أعناقهم) يدل على شدة تمكن هذه الأغلال من أعناقهم. كما قال فرعون -لشدة غضبه من إيمان السحرة-: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه ٧١]، لم يقل على جذوع النخل، فمن شدة غضبه كأنه يريد أن يصلبهم داخل جذوع النخل لا عليها.

فهنا يقول الله -عز وجل-: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ [يس ٨]، يقول بعض العلماء إن جمع كلمة عنق وكلمة غُل هنا إما أن العنق الواحد له أغلال كثيرة، وإما أن كل عنق له مانع يمنعه وله غُل يُربَط فيه. ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾، قيل إن (هي) -في الآية- مقصود بها الأيدي، حيث تُربَط الأيدي على الرقبة تحت الذقن -هكذا-. يروى في بعض الأثار أن هذا التشبيه الذي صوره سيدنا علي -رضي الله عنه- للناس، وهو أن الأيدي رُبطَت إلى العنق، فيكون الكافر رافعًا رأسه ناظرًا إلى فوقه فقط لا يستطيع أن يُبصر ما حوله ولا يستطيع الالتفات ولا التحرك ولا استعمال يده.

﴿فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ -سأفسر معاني الكلمات أولًا، ثم سنتناول المراد من الآية- قيل إن المقمَح هو الرافع لرأسه لا يستطيع إنزالها. وقال بعض أهل اللغة -معنًا بديعًا- إنه عندما تمرض الإبل

ابن حبان (ت ٣٥٤)، صحيح ابن حبان ٦٥٦٠ • أخرجه في صحيحه

وتكون ظمآنة للغاية ثم يُذهَب بها إلى الماء ولكن لمرض فيها فترفع رأسها راغبة عن الشرب من المياه، رغم أن نجاتها في الشرب، لكنها أقمحت رأسها، فكأن ما هم –الكافرون– فيه هو مرض.

وكلام أهل اللغة في تفسير معنى الفعل قمَحَ كلام كثير للغاية، حقيقة أفاد أهل اللغة في هذا المعنى وأجادوا وذكروا معانٍ كثيرة، منها أنها لا تستسيغ الماء؛ لبرودته أو لمرض فيها أو تظن أنها مروية أو غير ذلك...

يقول الله –عز وجل– أن هيئة الكافرين واحدة، فالواحد منهم يده مغلولة –مربوطة– إلى رقبته ورأسه مرفوع –لا يستطيع إنزاله– ويغض بصره. تدل الصيغة الاسمية أو اسم المفعول (مُقمَح) على أنه فُعِل به ذلك. إذًا ما معنى ذلك المشهد؟

- قال بعض أهل العلم هذا مشهد عقابهم في الآخرة، أنهم سيُربَطون بسلاسل ويكونون هكذا في جهنم –معاذ الله–، لكن غالب المفسرين رفض هذا القول وضعَّفه. هذا القول –بإن هذا هو مشهدهم في الآخرة– مال إليه أبو حيان، لكن رفضه كثير من المفسرين كابن عطية وابن كثير والقاسمي.
- وقالوا إن المعنى هو مجرد تشبيه لشدة إعراضهم عن الوحي، حيث إن القرآن يشخص المعاني، أي يجعلها شاخصة أمامك حتى تبصرها رأي العين.

وهذه أحد مزايا القرآن ، فمن مزاياه أيضًا اتصال الدنيا بالآخرة حيث تجد الحواجز مكسورة، –فله مزايا كثيرة–، أيضًا من مزاياه أنه يشخص المعاني لك، حيث يصور اللهُ –عز وجل– لك الكِبرَ القابع داخلهم. فعندما ترى شخصًا متكبرًا لا يريد قبول الحق تكون الصورة الحقيقية لهذا المتكبر أنه شخصٌ رافعٌ لرأسه ورُبطت يداه إلى رقبته –ذقنه– لا يقدر على إنزال يديه، لكنه –رغم تكبره– ظمآن ومحتاج إلى هذا الوحي، يحتاج إلى الماء –الوحي– الذي به يحيا، لكنه لا يستطيع، وهذا تصوير لمشهد المعرضين عن الوحي، وهذا ما اختاره جمهور المفسرين.

*ورفض ابن عطية تفسير أن هذا المشهد هو مشهد المعرضين في الدار الآخرة؛ لأن الآية التالية لهذه –التي صورت المعرضون مكبلون إلى الأعناق– هي: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس ٩]. قال –ابن عطية– أن الكافرين قيل عنهم في القرآن: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق ٢٢]، أي أن الكافر لا يقال عنه إنه لا يبصر في الآخرة.

*فَرَدَّ الفريقُ الآخر من المفسرين على ابن عطية بقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ [طه ١٢٥].أيًا كان فالسِجَال –الجدال– طويل.

*وقال القاسمي إن سياق الآيات كله في أحداث الدنيا، لا يوجد انتقال إلى مشاهد الآخرة.

*أما البِقاعي فحاول الجمع بين القولين، فقال إن مشهدهم -في الآية- هو صورتهم في الدنيا من الإعراض -عن الإيمان بالله- فيكون -مشهدهم- ذلك هو صورتهم في الآخرة من العذاب، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه ١٢٦]، أي إذا كنت أعمًا عن الحق في الدنيا فستحشر أعمًا حقيقةً يوم القيامة، فتأمل في ذلك المشهد وتشبيه الإعراض.

فما هي تلك الأغلال التي تربِطُهم وتمنعهم من الإيمان؟ هل تستطيع تخيل أن يكون الإنسانُ ظمآنًا لكن داخله موانع نفسية ترغبه عن الشرب، فلا يستطيع الشرب ولا يقدر عليه، أو إنسان يرغب في أن يؤمن لكن داخله موانع تمنعه من قبول الحق، مثل ما قال أبو طالب -عم النبي-: "ولقد علِمتُ بأن دينَ محمدٍ من خيرِ أديانِ البريةِ دينًا، لولا الملامةُ أو حِذارُ مسبةٍ لوجدتني سمحًا بِذاكَ مبينًا " أي أنه لولا خوفه من العار -لتركه دين آبائه- والكبر لأسلم!، ما منع أكثر أهل مكة من الإيمان هو الكبر، كما في قوله تعالى -في هذا الشوط المكي- في سورة غافر: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ [غافر ٥٦]، أي منعهم هذا الكبر القابع بداخلهم من قبول الحق.

يشبه الله عز وجل -وانتبه للمعنى هنا- الموانع النفسية التي تمنع الإنسان من قبول الحق بالأغلال التي تربطه وتمنعه من الشرب، فالأغلال هذه حقيقةً تستخدم للأسير، **فذلك المُعرِض عن الحق هو حقيقةً أسيرٌ للشهوات**. فبعضهم مثلًا يرفض الالتزام بالدين لوجود موانع نفسية عنده؛ مثل: الخجل أو الخوف من سخرية الناس منه...

ولا يقلل القرآن من شأن هذه الموانع -وإن كانت نفسية-، فهي خطيرة كالأغلال، وذلك الشخص هو أسير. فالشخص المتكبر عن الحق هو مريض حقيقةً؛ لذلك استعمل القرآن المرض الذي عند الإبل في تشبيه تلك الموانع التي منعت الكافرون عن الحق. أيضًا في قول الله -عز وجل- ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان ١٨]، أي لا تمش متكبرًا رافعًا لرأسك، فقال بعض أهل اللغة أن [الصعرَ] مرضٌ يصيب الإبل، حيث يجعل أعناق الإبل مُلتوية، إذا رأيت إبلًا تمشي هكذا فهي مريضة.

إذًا فالشخص المتكبر هو شخصٌ مريض، والموانع التي منعت الكافرون من قبول الحق وجعلت القول -الكفر- يحق على أكثرهم كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس ٧] هي موانع الكبر.

إذًا هذه السورة –سورة يس– تواجه عتاة المتكبرين، وتستخلص المستضعفين منهم؛ حتى يخرجوا من أسرِهم. فتستخرج –هذه السورة– الضعفاء الذين كانوا أتباعًا للمتكبرين –في سورة سبأ–، فتخرجهم من تبعية هؤلاء المتكبرين.

فيقول الله –عز وجل– عن وصفهم: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ﴾ –أي الأغلال أو الأيدي– ﴿إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ [يس ٨].إذًا فالمانع الداخلي هو الكبر، فلنرى ما المانع الخارجي.

يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ [يس ٩]، قال المفسرون فالكافر هو أسيرٌ مسجونٌ، أي أنه أسيرٌ مربوطٌ –بالأغلال– وفي سجن –أمامه سد–، حتى أن الله –عز وجل– لم يقل "وجعلنا من بين أيديهم ستارًا أو حاجزًا"، بل قال تعالى: ﴿سَدًّا﴾ ؛ لبيان عِظَمِ المانع الذي بينهم وبين الإيمان.

أيضًا كثير من المفسرين الذين اختاروا معنى –الآية السابقة لهذه– هو المانع المعنوي للإيمان وتشبيه الكافرين بأنهم مكبلين بالأغلال هو مجرد تشبيه لحالة إعراضهم –وليس وصفًا لعذابهم في الآخرة– قالوا إن هذه الآية ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ [يس ٩] أيضًا مجرد تشبيه لحالهم.

وهذان هما القولان في هذه الآية. ذكر بعض أهل السير قولًا ثالثًا وهو أن هذه الآية نزلت عندما أراد النبي –صلى الله عليه وسلم– أن يهاجر، فأعمى الله –عز وجل– أعين الكافرين عنه –صلى الله عليه وسلم–.

* لكن القول الأشهر والأنسب للسياق والذي اختاره جمعٌ من المفسرين هو أن هذه الآية هي تشبيه معنوي حسي لحالهم –المعنوي– من الكبر والإعراض عن الحق.

يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس ٩]، أعرض الكافرون قمة الإعراض فعاقبهم الله أقصى عقوبة –معاذ الله–. وكما قلنا إن من سنن الله –عز وجل– في معاملة عباده كما في قوله –سبحانه وتعالى–: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء ١١٥]، ﴿يُشَاقِقِ﴾ أي يختار أن يكون في شقٍ غير شقِ الله ورسوله وأن يقف في الجانب الآخر، أنت تريد المشاقة؟ إذًا تحمل وبلاها، يقول تعالى أيضًا: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل ١٠].

إذًا جعل الله في أعناقهم أغلالًا عقوبةً لهم، فحال الكافر نفسه يكون في عنقه الأغلال ورأسه مرفوعة لا يبصر حوله، أما الحال مِن حوله فهناك سدٌ أمامه وخلفه، فحتى إذا استطاع –الكافر– فك جزءٍ من الأغلال لن يبصر –ولن يستطيع–، وإن استطاع أن يبصر فسيجد من أمامه سدًا ومن وراءه سدًا آخرًا.

فقيل في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾ [يس ٩] أي إنهم لا يبصرون عواقب ما يفعلون، فيهوي الواحد منهم بنفسه إلى النار لكنه لا يبصر ذلك!

وذلك الحال –حال الكافرين– هو عكس حال المتقين لله الذين قال فيهم الله –عز وجل– في سورة الأعراف: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف ٢٠١]. ظل الكافرون في الضلال كثيرًا؛ حتى أضحوا لا يبصرون –كما أخبر عنهم الله تعالى ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس ٩]–، أما المؤمن إذا وسوس له الشيطان يبصر عواقب الذنب ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ فلا يفعله، فيعرف المتقي لله عاقبة أكل الربا فلا يأكله، أي أن المؤمنَ يرى عاقبةَ المعصية رأي العين؛ فلا يفعلها.

أما الكافرون لا يبصرون عاقبة ما يفعلون، فيحسب نفسه على خير، فيحارب النبي –صلى الله عليه وسلم– ولا يرى مشكلة في ذلك، ولا يُبصر عاقبة فعله هذا. فإن لم يرَ الغيب ويدرك عاقبة فعله ألم يرَ عاقبة من هَلَك قبله! ألم يرى كفار مكة عواقب الأقوام الذين أُهلكوا بجوارهم! قال تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ * وَبِٱلَّيْلِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات ١٣٧–١٣٨]، أي أنهم يمرون عليهم –آثار من هَلَك قبلهم– بالليل وبالصباح.

فيقول الله –عز وجل–: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس ٩]، قيل ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي أنهم لا يبصرون عواقب الأمم السابقة، فهم يمرون على مساكن الأقوام الذين أهلكوا وقراهم وكأنهم لا يرون شيئًا.

يقول تعالى: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ﴾، أي جعلنا على أبصارهم غشاوة. إذًا فعقوبة عدم النظر في الوحي هي أن الله –عز وجل– يصيبه بغشاوة على بصره، وهذا هو معنى قول الله –عز وجل–: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف ٣٦]، قيل أن المقصود في هذه الآية هو من يتعامى عن النظر في القرآن، ﴿نُقَيِّضْ﴾ قيل القيض هو قشر البيض، أي أن ذلك الشيطان المقَيَض يحيطه من كل الجوانب، ﴿فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ أي لن يتركه أبدًا. يقول تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف ٣٧]، فعندما تكون الشياطين له قرين تمنعه عن السبيل الحق، يقول تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ [الزخرف ٣٨]، أي أنه يظل يظن أنه مهتدي إلى أن يموت. هنا –في سورة يس– يقول الله –عز وجل–: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس ٩].

يبين الله –عز وجل– للدعاة ماذا ينبغي لهم فعله في هذه الأوقات –أي وقت الاستضعاف–، فيجب على الداعية في تلك الأوقات أن يكون عنده فقه فيمن يختار للدعوة. فعندما يجد السدنة والكبار

العتاة القائمين على الأنظمة المجرمة، حينها يعرف أن هؤلاء في الغالب لن ينفعهم الإنذار –أقول في الغالب–، ويتبين ذلك –نفع الإنذار لهم من عدم نفعه– من أفعالهم؛ فلا يحزن –الداعية– عليهم، ولا يهتم كثيرًا لأمرهم، كما قال الله –تعالى– في سورة فاطر: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر ٨].

فلا ينبغي للداعية أن يكون مبذرًا في أثناء الدعوة. قلنا –من قبل– أن المبذر لغةً هو الذي معه البذور، وتعني صيغة مبذر هذه أنه يلقي البذور في غير مواضعها، فإذا امتلك شخصٌ بذرة واحدة فمن المفترض أنه سيضعها في مكان محدد ويسقيها، لكن إذا امتلك بذورًا كثيرة يرمي بها في أماكن عديدة؛ فيرمي بها على الصخور ويرمي بها في البحر...، فهو – بفعله هذا– يُهلك هذه البذور، إذًا هو مبذر، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ﴾ [الإسراء ٢٧]. فيعد إلقاء الكلام الدعوي في أي مكان تبذيرٌ دعوي، فلا ينبغي –للداعية– إلقاء الكلام الدعوي في أي مكان، بل يجب أن يمتلك فقهًا.

فيقول الله –عز وجل–: ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس ١٠]، أي أن هؤلاء وصلوا لمرحلة لا ينفع معهم الإنذار، ولا يعني هذا عدم إنذارهم، لكن المقصود هو عدم الاكثار من الإنذار والحزن عليهم والضيق مما يفعلون، فيكفي إبلاغ هؤلاء مرة أو مرتين فقط.

وكما قال الله –عز وجل– للنبي –صلى الله عليه وسلم– في سورة عبس في فقه أولويات الداعية: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ * أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ * أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ [عبس ١–٧] ، فالمعرِض لا يريد أن يستمع لهذا البلاغ، أبلغته مرة، وأبلغته الثانية والثالثة، لكنه لا يريد أن يستمع لك. فقولُه تعالى: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ [عبس ٧] يحرر الداعية من الضغط النفسي الذي يعايشه عند إعراض الناس عنه، أي لا تخف، لا وزر عليك؛ فقد بلغت، يقول تعالى: ﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ [الذاريات ٥٤]. يقول تعالى–استطرادًا لآيات سورة عَبَس–: ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ * وَهُوَ يَخْشَىٰ * فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ [عبس ٨–١٠]، أي لا تترك هذا الذي سعى وجاء إليك، ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ [عبس ١١] أي أن وظيفتك هي التذكرة بالله واليوم الآخر.

إذًا من هذا الذي ينجو من ذلك الواقع المظلم المليء بالفتن؟ ألا يوجد أمل للنجاة؟

يقول الله –عز وجل–: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس ١١]، قيل ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ ليس معناها أن تُنذر هؤلاء –الذين يريدون اتباعك– فقط وتترك هؤلاء –

المعرضون-، بل معناها أن ينتفع هؤلاء -الذين آمنوا- بالنذارة، وكأنك لم تنذر هؤلاء -الرافضون- لعدم انتفاعهم بالنذارة.

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد -صلى الله عليه وسلم-.

يقول الله عز وجل-: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ [يس ١١] أي ينتفع بالنذارة، الأسلوب في الآية للدلالة على حصر، والفعل المضارع للاستمرار، ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ [يس ١١] أي من ينتفع بالنذارة هو من اتبع الذكر، وقيل الذكر هو القرآن.

لكن كيف ستنذر ﴿مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ وهم لم يسمعوه بعد؟

- قيل إن هؤلاء ذهبوا للرسول -صلى الله عليه وسلم- ليستمعوا إليه ويطيعوه لا ليجادلوه، فليسوا كمن قال تعالى عنهم في سورة الأنعام: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ﴾ [الأنعام ٢٥]، أي أنهم ذهبوا للرسول فقط ليجادلوا لا لينصتوا؛ فهم لا يبحثون على الحق، فالباحث عن الحق ليعمل به يُوَفَق له ويسدده به.
- وقيل ﴿مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ [يس ١١] هم من أجهدوا أنفسهم في الوصول إليه والاستماع إليه؛ لذلك قال الله -عز وجل-: ﴿مَنِ اتَّبَعَ﴾، ولم يقل "من تَبِعَ الذكر". فالفعل (اتبع) فيه تكلف -مشقة-، وكلمة (اتباع) تعني أن الشخص يحاول أن يضع قدمه موضع الأقدام التي سبقته، فهو يمشي على آثار من سبقوه تابعٌ لهم لا يلتفت. مثل -الصحابي الجليل- سيدنا سلمان الفارسي -رضي الله عنه-، حيث أجهد نفسه للوصول إلى الحق ثم للاستماع فوُفِق للصواب، لكن من لا يريد أن يصل إلى الحق لن يوفق له.

((فلا بد أن في يُجهد الإنسان نفسه للوصول إلى الحق في وقت الفتن والظلمات))

لكن الناس تريد في زمن الفتن -الذي هو واقع مليء بالظلمات- أن يكون الوصول إلى الحق سهلًا، ويرى كل شيء وهو جالس في مكانه دون جهد أو سعي. تكلمنا في الدرس السابق -أو الذي قبله- عن قوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النساء ١٠٠]، لم يقل الله "ومن يهاجر" -بل قال: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ﴾ -، أي لا بد أن يبدأ للهجرة بالخروج من بيته -رغبةً منه في الوصول للحق-، حتى لو لم تكتمل هجرته ومات في أثناء الطريق.

فلن ينتفع بما تقول إلا الشخص الحريص الذي يحرص على سماع القرآن، ويحرص على الوصول للحق، لكن من لا يريد الوصول إلى الحق لا يريد أن يسمع الوحي، فيتلى عليه الوحي ولا يشعر بقيمته، أو يعرف قيمته لكن لديه موانع نفسية تمنعه من اتباعه كالوليد بن المغيرة، فهو يعرف قيمة الوحي، حيث

قال: "ما هذا بقول بشر"، فهو يعلم أن هذا الوحي ليس كمثله قول، كما قال: "إن عليه لحلاوة، وأسفله لمثمر، وإن أعلاه لمغدِق". قال الوليد بن المغيرة كلماتٍ في وصف القرآن تُكتَب بماء الذهب، ثم لم يؤمن –معاذ الله–، منعته موانع نفسية –أغلال– من السير في طريق الحق.

إذًا يجب على الشخص أن يجهد نفسه للوصول إلى الحق، ويجهد نفسه في الاستماع ثم في التطبيق، وهذا هو من ينتفع بالوحي. وكما قلنا إن في الآيات إشارة إلى أن في هذا الواقع –المليء بالظلمات– يضل أغلب الناس، وينجو قليل منهم –وهم من أشير إليهم في الآيات–.

وفي الآيات أيضًا إشارة إلى الداعية أن يهتم بهؤلاء –الذين يريدون النجاة– في هذه الأوقات، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ * وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ [عبس ٨-٩]، وقوله: ﴿مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ﴾ [يس ١١]، فينبغي أن يكون هؤلاء موضع الاهتمام الأصيل للداعية. يقول تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف ٢٨]. قد يظن الداعية أن أصحاب الأموال الكثيرة هم أولى بالدعوة –في وقت الاستضعاف– ليخرجوه من تلك المحنة –الاستضعاف–؛ فيقول الله –عز وجل– له: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ حتى لو كانوا فقراء، والذين آمنوا في بداية الدعوة كانوا فعلًا فقراء، ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي أنك تريد الدنيا لكي تنتصر، ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾.

هنا –في سورة يس– يقول الله –عز وجل–: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ﴾، فاتباع الذكر يُورِث خشية، وهذه علامة من علامات اتباع الوحي. قال الله –عز وجل–: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر ٢١] ، أي أن الجبل سيتصدع من خشيته لله –عز وجل–.

((فأهم عامل من عوامل القرآن هو زرع خشية الله))

من ينبهر ببلاغة القرآن ويظل يتحدث عن معانيه دون أن تُزرع هذه الخشية في قلبه فقد أخطأ في فهم مقصود القرآن الكريم؛ لأن أهم مقصد من نزول القرآن هو خشية الله عز وجل –كما في قوله تعالى ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾–،فالخشية هي أهم عامل يُصَدِّع الجبال ويزلزلها ويُكسِّرُها.

والجمال في قوله تعالى –في سورة يس– أن الله –عز وجل– لم يقل: "وخشي الجبار" أو "القهار" بالغيب، بل قال: ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ﴾ ، **فالمؤمن يزيده الإحسانُ من الله خشيةً** وانكسارًا لا

إعراضًا؛ حين يتذكر نعم الله عليه. فهناك شخص تزيده النعم طغيانًا –معاذ الله-؛ فكثرة سماع ذلك الشخص عن اسم الله الرحمن الرحيم تزيده طغيانا وإغراقًا في المعاصي؛ فيقول أن الله رحمن رحيم ويظن أنه سيغفر له مهما تمادى في غفلته وعصيانه. لكن المؤمن يزيده ذكرُ الرحمة خشيةً وينكسر لله –عز وجل-، فيكون حاله كما قال تعالى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [الرحمن ٦٠]؟ فقد أحسن الله تعالى له بنعمه عليه، فيشعر بأنه ينبغي عليه الإحسان بطاعته لله –عز وجل-.

في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ إشارة أيضًا إلى أنه في هذه الأوقات لا يوفَّق إلا المخلص.﴿وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ أي وهو غائب عن الناس، غيرُ مشغول بنظرهم. لذلك قيل إن **من موانع فهم القرآن الانشغال بنظر الناس**، كما في قوله –سبحانه وتعالى- في آخر سورة التوبة: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ﴾ [التوبة ١٢٧]، فقيل إن من موانع فهم القرآن أنهم كانوا مشغولين بنظر الناس لهم؛ فلم يفهموا السورة عندما نزلت.

إذا تتبعنا الآية من بدايتها فسنجدها بدأت بالإنذار – ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [يس ١١] – وخُتِمَت بالبشارة – ﴿فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ﴾ –، أي أن هذا الشخص – المتبع للوحي- بدأ الرسول –صلى الله عليه وسلم- معه بالنذارة، ثم انتقل به إلى البشارة. وقيل ﴿فَبَشِّرۡهُ﴾ هنا مفرد إشارةً إلى قلة من يهتدي في هذه الأوقات، ولم يقل "فبشرهم"، والسياق اللغوي في الآية يحتمل الإشارة إلى (هذا) و(ذاك)، لأن لفظ (مَن) يحتمل معنيان هما (هذا) و(ذاك)، لكن الآخرون –الضالون- تكلم الله عنهم بصيغة الجمع كقوله تعالى: "أعناقهم"، "لا يبصرون"، "أنذرتهم"، "لم تنذرهم". يقول تعالى: ﴿فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ﴾ على ما فعل من معاصي قبل سماع الذكر أو حتى في أثناء سماعه، و﴿وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ﴾ [يس ١١] لا تنغيص فيه ولا كدر.

ثم يقول الله –عز وجل-: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ [يس ١٢].

* يقول غالب المفسرين إن ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ مقصود بها البعث. علاقة هذا _البعث_ بالآيات أن السبب الرئيس لامتناع هؤلاء –الكافرين- عن الإيمان هو قضية البعث والمجازاة، فهم لا يريدون الإيمان بهذا الدين ولا يريدون سماع هذا الذكر؛ لأن هذا الذكر يتكلم عن الدار الآخرة.

إذًا يعد طرح الدين للناس مع استئصال قضية الدار الآخرة ميزانًا مقلوبًا، فالدار الآخرة أصل متأصل في الوحي، فأي طرح للدين خال من كثرة ذكر الدار الآخرة واستعظامها هو طرحٌ مبتورٌ ومُشوَّه.

فالسبب الرئيسي لامتناع الكافرين عن الإيمان بهذا الذكر وهذا الوحي هو قضية البعث، فيؤكدها الله –عز وجل- في هذه السورة في غير موضع.

فمسألة الإحياء والحياة جاءت كثيرًا –في هذه السورة– بدلالتها، حتى خُتمت السورة بمستنكر البعث والرد عليه، حيث يقول تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ * قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس ٧٨-٧٩]. فقضية الإحياء والحياة وتمام الحياة بالقرآن بل والحياة الحقيقية –كحياة الشهيد مؤمن آل ياسين– هذا كله ذُكِر في سورة يس.

فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ﴾ –نحن فقط– ﴿نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ ومع ذلك الإحياءُ يَلزم حساب، فقال –عز وجل–: ﴿وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ﴾ [يس ١٢]، أي نكتب ما فعلوا، وليس فقط ما فعلوا في الدنيا بل ﴿وَءَاثَٰرَهُمۡۚ﴾ أي آثار تلك الأفعال –أي من سَنَّ سنة حسنة في الإسلام، ومن سَنَّ فيه سنة سيئة–، فآثار الطاعات بعد الموت أو المعاصي بعد الموت مكتوبة.

يقول تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ﴾ [يس ١٢] لم يقل "كتبناه"؛ لأن الإحصاء أدق من الكتابة، يقول تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ﴾ [المزمل ٢٠]، الإحصاء أعلى من ذلك –الكتابة–. قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ [يس ١٢]، قيل أي أحصيناه في اللوح المحفوظ أو كتاب الأعمال؛ وسميَّ إمامًا لأن الإمام هو ما يؤتم وما يُقصَد؛ فمعنى ذلك أن الناس كلها تجرى لكي تَؤم كتب أعمالها يوم القيامة، فيجري كل شخص إلى كتابه ليبصر نتيجة أفعاله –الجنة أم النار–. يقول تعالى: ﴿فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ [يس ١٢] أي مُوضِح لحقيقة الأعمال ومُفصِح عنها، مثل مشهد الناس يوم ظهور نتيجة اختبارات المدارس، فتجدهم جميعا يجرون مسرعين إلى النتيجة ليتبينوا الناجح من الراسب، مثل هذا المشهد يحدث يوم القيامة.

* وقيل معنى آخر لطيف –أختم به الدرس– في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [يس ١٢]، فقيل إن معنى كلمة ﴿ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ في الآية هم الكفار. وذُكِر هذا –المعنى– في أكثر من موضع مثل قوله تعالى: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾°، قيل أي يُخرِج الله تعالى المؤمنَ من الكافر، وقوله: ﴿إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾ [الأنعام ٣٦] قيل الموتى هم الكفار، وقوله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام ١٢٢] قيل أي الكافر الذي يؤمن ويُعطَى القرآن.

فقيل إن الموتى في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [يس ١٢]هم الموتى الذين هم في السياق، وهم الذين ﴿جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا﴾ [يس ٨] ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا﴾ [يس ٩].

فهؤلاء إذا أراد الله –سبحانه وتعالى– إحياءهم فسيحيهم، بل وسيجعلهم من العاملين لنصرة دينه

° ذكرت ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ في ٣ مواضع في القرآن: [الأنعام ٩٥]، [يونس ٣١]، [الروم ١٩].

فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ﴾ [يس ١٢]، أي ﴿وَءَاثَٰرَهُمۡ﴾ الصالحة لنصرة هذا الدين، فهم لن يؤمنوا فقط، بل سيكونون لهم آثار.

ويُستَشهد بهذه الآية كثيرًا دلالة على موقف بني سلمة، عندما كانوا يسكنون بعيدًا عن مسجد النبي –صلى الله عليه وسلم– وأرادوا أن ينتقلوا إلى جوار المسجد فقال لهم النبي –صلى الله عليه وسلم–: (دياركم دياركم، الزموا دياركم، تُكتَب آثاركم)[٦]، أي أن كل خطوة تخطونها تجاه المسجد تُكتَب، فظلوا في دياركم –البعيدة عنه– واخطوا إليه، يَكثُر أجركم. لذلك قال قتادة في هذه الآية: "لو كان الله –عز وجل– مُغفِلًا شيئا منك يا ابن آدم لترك ما أعفته الريح من أثرك"، أي أنك حين تمشي على الأرض تأتي الريح ماحيةً هذا الأثر، لكنه –أثرك هذا– يُكتَب عند الله. قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (ما اغْبَرَّتْ قدَما عَبْدٍ في سبيلِ اللَّه)[٧]، أي أن مجرد مشيك في سبيل الله وأثر مشيك هذا في التراب محسوبٌ عند الله –سبحانه وتعالى–.

فقال تعالى: ﴿وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ﴾، ومن هذه الآثار الطيبة –المكتوبة– آثار مؤمن آل ياسين؛ فحينما جاء الرسل آمن بهم فأحياه الله –بعد موته أي عدم إيمانه–، ثمَّ قدم الآثار، وهي نطقه بكلمة الحق واستشهاده، فبقي أثره إلى الآن نقرأه في القرآن. قال تعالى: ﴿وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ [يس ١٢]، فلا يغيب شيء عن الله –عز وجل–، سواء كان من الأعمال الصالحة أو من السيئة.

نسأل الله –عز وجل– أن يجعلنا من العاملين لدينه، وأن يرزقنا حسن الخاتمة، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وجزاكم الله خيرًا.

---

[٦] [عن جابر بن عبدالله]: أَرَدْنا النُّقلةَ إلى المسجدِ والبقاعُ حولَ المسجدِ خاليةٌ فبلَغ ذلك النَّبيَّ ﷺ فأتانا في دارِنا فقال: (يا بني سلِمةَ بلَغني أنَّكم تُريدونَ النُّقلةَ إلى المسجدِ) فقالوا: يا رسولَ اللهِ بعُد علينا المسجدُ والبقاعُ حولَه خاليةٌ فقال: (يا بني سلِمةَ ديارَكم ديارَكم تُكتَبْ آثارُكم) قال: فما ودِدْنا أنّا بحضرةِ المسجدِ لمّا قال رسولُ اللهِ ﷺ ما قال)
ابن حبان (ت ٣٥٤)، صحيح ابن حبان ٢٠٤٢ • أخرجه في صحيحه •

[٧] [عن أبي عبس عبدالرحمن بن جبر]: ما اغْبَرَّتْ قَدَما عَبْدٍ في سَبيلِ اللَّهِ فَتَمَسَّهُ النّارُ.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٢٨١١ • [صحيح] •